مظاهر الأنا الساردة و المعانية في السرد

دراسة نقدية من خلال رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي

Dimentions of Narrating-self and Experiencing-self A Critical Study through the Novel Bamboo Stalk by Saud Alsanousi

زين العابدين[1] رمثة شاهد لطيف[2]

Abstract

This narratological paper is a critical study of first-person narrator and its two major categories: Narrating-self and Experiencing-self; and their different dimensions and aspects through Saud Alsanousi's Arabic novel Bamboo Stalk. The paper includes a theoretical overview of narrating-self and experiencing-self in first-person narration; study of narrating-self and its different dimensions through selected novel; and study of experiencing-self and its different dimensions through selected novel.

Key words: *Narratology, First-person narrator, Narrating-self, Experiencing-self, Saud Alsanousi, Bamboo Stalk*

ملخص البحث

علم السرد أو السرديات (*narratology*) يتناول قضايا السارد؛ والمسرود له؛ والسرد نفسه، وعلاقته بالحكي أو المضمون في الرواية. وينقسم السرد من حيث مدى مشاركة السارد في الرواية باعتباره شخصية، أو ساردا إلى قسمين رئيسيين: السرد بضمير المتكلم، والسرد بضمير الغائب. والسارد في السرد بضمير المتكلم يكون شخصية من شخصيات الرواية ، وبالتالي يؤدي دورا ثنائيا، وهي ميزة للسرد بضمير المتكلم.

سوف يتناول هذا البحث هذه الظاهرة التي تميز بها النوع المذكور من السرد حيث يشارك السارد في السرد والحكي بجانب؛ وبجانب آخر يشارك السارد في الحكاية وأحداثها، ويسمى الأنا الساردة ، ومن ثم ينشغل السارد بكونه ساردا وشخصية معا، ويسمى الأنا المعانية. تتناول الدراسة مظاهر الأنا الساردة والأنا المعانية من خلال رواية ساق البامبو للروائي الكويتي سعود السنعوسي، وستتكون الدراسة من مباحث تالية: 1- دراسة نظرية الأنا الساردة والأنا المعانية في السرد بضمير المتكلم، 2- ومظاهر الأنا الساردة في الرواية، 3- ومظاهر الأنا الساردة في الرواية.

كلمات أساسية: علم السرد، السرد بضمير المتكلم، الأنا الساردة، الأنا المعانية، ساق البامبو، سعود السنعوسي.

[1] محاضر بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان.

[2] محاضرة زائرة، بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

المبحث الأول: نظرية الأنا الساردة والمعانية في السرد

علم السرد أو السرديات (*narratology*) يتناول قضايا السارد؛ والمسرود له؛ والسرد نفسه، وعلاقته بالحكي أو المضمون في الرواية. وينقسم السرد من حيث مدى مشاركة السارد في الرواية باعتباره الشخصية، أو السارد البحت إلى قسمين رئيسيين: السرد بضمير المتكلم، والسرد بضمير الغائب.

والسارد في السرد بضمير المتكلم يكون شخصية من شخصيات الرواية، كما مرّ، وبالتالي يؤدي دورا ثنائيا، وهي ميزة للسرد بضمير المتكلم، حيث يسرد الرواية إما بوصفه الأنا الساردة التي تروي الأحداث من زاوية السارد الواعي والحكيم والمتقدم في السن وتقوم باستعادة الماضي وتقييمه واستنتاج النتائج الأخلاقية منها، وإما بوصفه الأنا المسرودة التي تتجنب استعادة الماضي وتركّز على الأحداث في وقت وقوعها، وفي هذه الحالة، يقع التركيز على السارد باعتباره الشخصية والبطل.[1]

تناول النقاد الغربيون والعرب هذه القضية بمصطلحات وخصائص مختلفة، مثل ما تناولت مونيكا هذه القضية بمصطلحَي "*narrating self*"(الذات الراوية) و"*experiencing self*"(الذات المعانية)[2] وعدتها ميزة للسرد بضمير المتكلم مع ذكر بعض ملامحهما سريعة. مُحَمَّد الخبو والسيد إبراهيم أتيا بمصطلحي الأنا الراوية والأنا المروية[3] مع زيادة شخصية الراوي والشخصية المروية[4] والأنا الساردة[5] عند مُحَمَّد الخبو. ويقترح السيد إبراهيم الفصل بين الأنا الراوية والأنا المروية مع وصفهما سريعا[6].

بينما ترجمتُ مصطلح مونيكا إلى "الذات المعانية" لأن هذا- في رأيي- يؤدي المعنى أكثر، لأن السارد باعتباره الشخصية المروية يتحدث من خلال تجاربه التي يعانيها، وقت حدوثها. فبالتالي أستخدم في بحثي مصطلح الأنا المعانية أو الذات المعانية لـ *experiencing self* وأستخدم مصطلح الأنا الساردة والذات الساردة لـ *narrating self*.

السرد بضمير المتكلم في الروايات الذاتية كرواية ساق البامبو لسعود السنعوسي[7]، يتطلب بأن يحكي السارد- وهو هوزيه، من درجة أولى في الزمن الحاضر، ما حدث له في فترة سابقة، فيتميّز زمن السرد (الرواية) عند الأنا الساردة عن زمن المسرود (المروي) عند الأنا المعانية بصفاتهما.[8]

ولكن أحيانا يكسر خط الحكاية الماضية عندما "يتدخل السارد فيما يحكيه عن نفسه وعن المحيط الذي عاش فيه، بالتقييم والمساءلة"[9]. حيث يعلق السارد أثناء سردها في الزمن الراهن على ما مرّ به من الأحداث. وأحيانا بسبب اختلاف العمر والتجربة تتعامل الأنا الساردة مع الأنا المعانية بنوع من التعاطف أو التعالي الساخر[10]، وبأن الأنا الساردة تعرف المطلق من المعرفة غير الأنا المعانية التي تعاني من التجارب ولا تعرف الأحداث بأكملها. وهذا يؤدي إلى التطور في الخبرة. بمثل هذه الصفات تظهر بسمة الأنا الساردة على النص الروائي.

ويظهر السارد باعتباره الأنا المعانية في النص الروائي بصفاته إذ يركز على وعي الشخصية ويشير قليلا جدا إلى حكاية الأحداث، وكثيرا ما يستخدم أفعال المضارع كفعل السرد.[11] ويستطرد السارد بوصف المكان والأحداث الطويلة بالجمل الاسمية والأفعال المضارع حيث هو داخل الأحداث وقت وقوعها.

ويظهر السارد باعتباره الأنا الساردة والأنا المعانية بأشكال وأساليب مختلفة داخل النص، ولكن هذا لا يعني أن الأنا الساردة تنفصل عن الأنا المسرودة تماما، بل تظهر ملامح الأنا الساردة بقطع سرد الحكاية بكلامها في زمن الحكي الراهن، وتظهر ملامح الأنا المعانية بقطع سرد الحكاية عند الأنا الساردة بالوصف على لسانها هي، أو حديثها النفسي، أو أفكارها، وخلال هذا التدخل يستحيل زمن الحكاية الماضية إلى زمن الراهن، حيث تُعاني الأنا المعانية بما يتحدث عنه.

فالفقرات التالية ستلقي ضوءا على مظاهر الأنا الساردة خلال رواية "ساق البامبو" أولا، وثانيا ستكشف عن ميزات الأنا المعانية ومظاهرها خلال الرواية.

المبحث الثاني: مظاهر الأنا الساردة في رواية "ساق البامبو":

يظهر ملامح الأنا الساردة في الرواية بطرق وأساليب شتى:

– فتظهر الأنا الساردة جليا بتعليق مباشر وصريح بكونه ساردا وكاتبا، إذ ينقطع خط سرد الحكاية ويقفز السارد من الحكاية في الحاضر بكونه كاتبا خياليا للنص. فأثناء سرد الكلام حول إعلانات الانتخابات البرلمانية الكويتية، يقول هوزيه: "عرفت لاحقا أن مهرجان اللافتات الإعلانية في الشوارع هذا يسبق الانتخابات البرلمانية لديهم."[12] ثم يقطع السرد بكونه ساردا وكاتبا أثناء عملية الكتابة: "لديهم؟! لماذا لديهم بدلا من لدينا. هممت أمسح الكلمة أو أقوم بتعديلها، ولكنها ستبدو نشازا إن أنا فعلت. سأتركها كما هي.. لديهم."[13] ثم يبدأ بسرد الحكاية مرة أخرى.

وأثناء السرد في اهتمام الفلبينيين عن احتفال المناسبات، يقولهوزيه: "ليس اهتمام الفلبينيين حكرا على أعياد الميلاد، فالمناسبات العامة أيضا لها خصوصية لديهم"، ثم يخاطب نفسه مباشرة خارجا من سرد الحكاية: "لماذا لديهم بدلا من لدينا؟ هل أنا أنتقي المفردات بشكل صحيح؟ أي تيه هذا الذي أنا فيه؟!"[14]. فظهرت الذات الساردة في الجملة الثانية في حين سرد الحكاية وحين كتابتها الخيالية كذلك.

في مناسبة أخرى، يقول هوزيه عن الشعب الفلبيني: "وجودي في الكويت جعلني أتعرف على الفلبينيين بشكل أوضح. نحن شعب يحب الغناء." ثم يتساءل: "نحن؟ نعم.. نحن!"[15] ثمّ يستأنف بالسرد مرّة أخرى.

هذه الأمثلة الثلاثة تلقي ضوءا على ذات هوزيه الساردة بنفسية متشاغبة ومترددة عن هويته وبين انتمائه إلى بلد أبيه الكويت، وبين انتمائه إلى بلد أمّه فلبين، حتى يصل أخيرا إلى النتيجة بإنه ينتمي إلى الفلبين، ويعد نفسه واحدا من الفلبينيين خلال استخدام ضمير المتكلم للجمع "نحن".

وأحيانا تنقد الأنا الساردة التعبيرات التي استخدمها في السرد وتقوم بتقييمها. فيسرد هوزيه عن اهتمام الفلبينيين الشديد باحتفال عيد الميلاد: "في الاحتفال بمناسبة عيد الميلاد المجيد، في المانيلا، يمكنك أن تشعر بهذه المناسبة كما لو أنك في الفاتيكان" ثم ينقد تعبيره السابق في لحظة السرد: "هل أنا أبالغ؟ لم أزر الفاتيكان لأعرف" ثم يبدأ بسرد الحكاية مرة أخرى: "ولكن، على أية حال، ليس الأمر كما هو عليه في الكويت"[16].[17]

– وهناك قرينة أخرى تدلّ على ظهور الأنا الساردة في النص السردي وهي العبارات الدالة على أنّ زمن الحكاية قد مرّ وأن زمن الحكي في الآن الحاضر بعيد عنه. مثل العبارات المستخدمة في زمن الحكي أثناء السرد من: "الآن"، "اليوم"، و"لا أزال أتذكر"، و"لم أنس"، و"لا أتذكر"، و"في ذلك الوقت"، أما إن استخدمت هذه العبارات في زمن الحكاية فلا تعتبر قرينة لظهور الأنا الساردة في سرد الحكاية.[18]

ويقول هوزيه عن إحدى مكالمات أخته: "لا أزال أتذكر شيئا مما قالته خولة في تلك المكالمة"[19]. فالواضح أن السارد لايزال يتذكر شيئا مما قالته له أخته وقت سرده، مع نسيان بعض قولها دليلا على بعد زمن الحكاية عن زمن الحكي الحاضر.

في إحدى رسائل جوزافين إلى آيدا تقول: "قولي لـ هوزيه إني أحبه وأشتاقه كثيرا". يعلق هوزيه على هذه الرسالة: "قالت لي آيدا إن أمي تحبني.. تشتاقني كثيرا.. لا أتذكر ذلك، فقد كنت في الخامسة".[20] ويقول في حادث أدريان: "لا أتذكر شيئا مما حدث سوى صور متفرقة، أعادت آيدا ترتيبها لي بعدما كبرت... لا تزال تومض في ذاكرتي غير واضحة المعالم... لا أتذكر سوى الأصوات وما يكشفه وميض البرق من صور.."[21]. تظهر الأنا الساردة في هذين النصين بصفة أنه نسي بعض الأحداث وقت روايته، إذ يفيد هذين المثالين بأن فترة الطفولة سبب في نسيان الحدثين، لذا الأنا الساردة لم يتذكر بهما جيدا في زمن الحكي.[22]

– ويعلق الأنا الساردة على أحداث الحكي تمنيا لو جرى بعض الأحداث الماضية بشكل مغاير، فتظهر الذات الساردة من خلال التعليق بالخبرة والمعرفة الأكثر بما جرى له في الماضي من أحداث التي أدّتْ إلى النتائج غير مرضية، فلا يستطيع فعل أيّ شيء إلا التمنّي. في رواية ساق البامبو اختلف أبوا هوزيه في الوطن والدين واللغة والملامح، وحياة هوزيه تترتب على هذا الخلاف وبالتالي هو يبحث عن "هوية واضح الملامح" بين اسمين ووطنين ودينين، فيتمنى هوزيه في هذا السياق: "لو أنهما اتفقا على شيء واحد.. شيء واحد فقط.. بدلا من أن يتركاني وحيدا أتخبط في طريق طويلة باحثا عن هوية واضحة الملامح.. اسم واحد ألتفت لمن يناديني به..."[23].

ويتواصل في تمنياته: "لو وُلدتُ لأب وأم كويتيين، مسلما... أو.. لو وُلدتُ لأب وأم فلبينيين... أعيش مسيحيا، ميسور الحال... أو مسلما فقيرا... أو ثريا في أحد أحياء فوربس بارك... أو بوذيا من أصول الصينية... أو.. لو فقست من بيضة ذبابية منزلية.. أعيث في البيت فسادا.. أشيخ بعد عشرة أيام.. ثم أستسلم للموت بعد أسبوعين كحد أقصى.

لو كنت شيئا.. أي شيء.. واضح المعالم.. لو.. لو.. لو.. أيّ تيه هذا الذي أنا فيه؟"[24].

وكذلك تظهر الذات الساردة في النص إذ يتمنى هوزيه لو وصل رسالة أمّه قبل حادث أدريان، حيث قالت لآيدا الرسالة "قبّلي، بالنيابة عني، أدريان"[25]. يعلق على هذا بالتمني والحسرة: "هل قبّلت أدريانَ؟ وهل شعر أدريان بقبلة أمي عبر شفاه آيدا؟ لو أن رسالتك يا أمي جاءت قبل موعدها.."[26]. كي يحس ويشعر أدريان بقبلة أمه.[27]

– ويتدخل الأنا الساردة في بعض مواقف الحكاية بوصفها زمنَ الحكي بكونها أكثر خبرة وحكمة ونظرة السخرية أحيانا مثل وصف توقيع وليد على صورة عن عقد نكاح والديه، يقول: "حدّقتُ في الإمضاء الثاني.. المجنون كصاحبه. سألتها: إمضاء من، ماما؟"[28]. في الجملة الأولى يصف السارد التوقيع بأنه مجنون كصاحبه، رغم أنه يسأل في التالي عن صاحب التوقيع. فالواضح أن السارد جاء بهذا الوصف في زَمن الحكي كونه الذات الراوية، حيث عرف كثيرا عن وليد فيما بعد من خلال كلام أمه وكلام غسان عنه، ومن صوره مع أبيه وغسان.

ولكنني ربما أخون النصَ إذا اكتفيت بما قمت بتأويل العبارة السابقة. إذ يُحتمل أن يكون هذا التعبير "المجنون كصاحبه" حديثَ الأنا المعانية النفسي، بسبب العبارة قبلها يقول السارد: "نقلتْ (جوزافين) إصبعها إلى الإمضاء الثاني. صمتت قليلا، ثم بحزن.. قالت: إمضاؤه مجنون.. كم يشبهه.."[29]. ثم ورد الجملة: "حدّقتُ في الإمضاء الثاني.. المجنون كصاحبه. سألتها: إمضاء مَن، ماما؟". فهوزيه يرتب في ذهنه عبارة المجنون كصاحبه عندما سمع من أمه وصف: "إمضاؤه مجنون.. كم يشبهه".

فيحتمل أن تكون العبارة حديث الذات المعانية النفسي في زمن الحكاية من انطباعه بما سمع من أمه. وكذلك يحتمل أن يكون وصفا في زمن الحكي كون هوزيه الأنا الساردة كما شرحت سابقا.

وحين أخبر غسان أنه ينتمي إلى بدون، يقول هوزيه : "سألته بغبائي المعتاد: هل البدون ضمن دول الـ$G.C.C$[30]؟"[31].

فوصف الإنسان لنفسه بالغباء المعتاد في مثل هذا الموقف لا يأتي إلا حينما يقوم بتقييم الأمر لاحقا بعد إدراك الموقف فيسخر مما قام به، فهذا الوصف من عند الذات الساردة في زمن الحكي.[32]

– وفي بعض الأحيان تعلق الأنا الساردة على أحداث الحكاية متفهما أو غير متفهم في شكل التساؤل فتصل إلى نتيجة من الموقف. فعندما بلغ هوزيه السنة الرابعة وبلغ أدريان شهره السادس، سافرتْ أمهما إلى بحرين للعمل تاركة إياهما لدى أختها آيدا. تعلق الذات الساردة على هذا الحدث متفهما موقف الفقر لدى أمه وأسرته حيث اضطرت بتركهما عند معتادة المخدرات، يتساءل هوزيه: "ما الذي، سوى الفقر، يدفع أما ليترك أطفالها لدى امرأة استبدلت حمرة عينيها ببياضهما بسبب إفراطها بتدخين الماريجوانا؟!"[33].

وتعلق الأنا الساردة على تأثير مقطوعة "عطر زهرة ياسمين" الساحرة التي عزفها تشانغ وكأن أوتار الآلة الموسيقية تنث عطر ياسمين مع الأنغام، وهذا، لا يوجد له أي مبرر، يقول عن هذا الإحساس: "أن تصدر الآلة أنغاما موسيقية.. بديهي.. أما أن تنثّ الأوتار عطر ياسمين! هذا ما لم أجد له تفسيرا!"[34]. هكذا تعلق الأنا الراوية متسائلا على ما شاهدَ حزن الناس على رحيل الأمير وأعجب بالبيئة الحزينة كلّها غير فاهم هذا الأمر، يتساءل: "من أين للحزن أن يحتل كل شيء؟ أن ترى وجوها حزينة، أمر له تبرير في بعض المناسبات، أما أن تحزن الشوارع والبيوت والأرض والسماء لرحيل شخص ما!"[35].[36]

– غير هذا هناك تعليقات عامة التي تُبدي الأنا الساردة أثناء السرد على الأحداث والمواقف التي تسردها. مثل ما يعلق هوزيه على صورة أبيه حيث يصف صورته التي كان "يبدو مضحكا فيها"، وصْف ملامحه وملبسه. ثم يأتي بجملة قبل وصْف الصورة الثانية تعليقا على الصورة الأولى، يقول: "لا أدري كيف كان أبي وسيما في عيني أمي!"[37].

وخلال سرد الحكاية عن أمه إذ أصرّتْ على بقائها مع أدريان بعيدا عن بيت ميندوزا، في بيئة أفضل لنشأة أدريان، يعلق الأنا الساردة على تلك الفكرة: "أي بيئة أرادت أمي لأدريان أن ينشأ بها، وهو، المحظوظ، الذي لا يدرك شيئا مما يجري حوله!"[38].

وهناك نماذج عديدة لتعليقات الأنا الساردة على الأحداث الماضية مثل تعليقه على سرد الحكاية إذا كان ميندوزا يخيف هوزيه– وهو في السابعة من عمره– من طلباته السخيفة وبالعبارة "أتمنى أن تنبت لك ألف عين حتى ترى الأشياء بوضوح"، وكان يضحك على خوف هوزيه، فيعلق الأنا الساردة أثناء السرد خلال السرد: "من أين له ذلك القلب.. ميندوزا؟"[39].[40]

المبحث الثالث: مظاهر الأنا المعانية في رواية "ساق البامبو":

- تظهر الأنا المعانية في الرواية بالأساليب التالية، مثل:

– تستولي الأنا المعانية على سرد الحكاية خلال ذكر الحدث وينتقل السرد مباشرة من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع. فبعد الحوار والأحوال التي جرت بين آيدا وجوزافين، عندما أدركت الأخرى عن ما أثّر الحادث على دماغ أدريان، ينتقل السرد من الماضي إلى الحاضر إذ كان الحوار كله على لسان الأنا الساردة، ثم تسرد الأنا المعانية فجأة: "لأول مرة أشاهد خالتي آيدا تبكي.."[41]. وانتقل السرد من زمن الحكي إلى زمن الحكاية.

وعند السرد عن جوّ الكويت البارد استحال السرد من لسان الأنا الساردة إلى لسان الأنا المعانية داخل الجملة نفسها، حيث يقول هوزيه: "كان الطقس باردا إلى درجة أنني، ولأول مرة في حياتي، أشاهد الهواء الخارج من رئتيّ يتكثف أمام وجهي."[42]. فبدلا من أن يسرد الأنا الساردة الجملة كلها، بداية من الجزء الأول "كان..." إلى أن يصل إلى الجزء الثاني "شاهدتُ الهواء..."، سلّم الأنا المعانية زمامَ السرد في الجزء الثاني من الجملة.

– وتظهر الأنا المعانية في النص بتعليق في حديثها النفسي على أحداث الحكاية، إما تساؤلا وتعجبا وإما إعجابا. وهذا التعليق يزامن زمن الحكاية عكس تعليق الأنا الساردة الذي يزامن زمن الحكي. ففي الحوار بين هوزيه وتشانغ، حول استيراد الموز من الفلبين إلى الكويت، عندما قال الآخر لو كنتَ موزا لتمكّنت من الذهاب إلى بلاد أبيك، فعلق هوزيه في نفسه متسائلا: "أي مصير أختار؟ ثمرة أناناس لدى ميندوزا، أم موزة مستوردة في بلاد أبي؟"[43]. فهذا التعليق من عند هوزيه لكونه الأنا المعانية حيث يتساءل في نفسه أثناء الحوار مع تشانغ.[44]

وعندما نهب قاطعُ الطريق هوزيه وأخبره بأنه شرطي يريد بطاقته الهوية، دون أن يرتدي زيّ الشرطة، قال في نفسه وهو في حيرة من الأمر: "إن كان الشرطي سارقا.. ماذا يفعل اللصوص إذن؟!. شرطي؟! بدون سيارة الشرطة.. أو حتى زيّهم؟! أنا لا أفهم شيئا!"[45]. هذا الحديث النفسي عند التجربة المرّة على لسان الأنا المعانية دون الأنا الساردة، يوحي بتأثير الموقف على نفسية الذات المعانية.[46]

– وتظهر الأنا المعانية في النص خلال أفكارها عن أحداث الحكاية وما تشاهده في بيئتها وما تستنتجه منها. ومن هذه الأفكار ينقطع سرد الأنا الساردة وتأتي الأنا المعانية بما يفكر في وعيه. فعندما دخل هوزيه ديوانية صديقه "تركي"، يسرد هوزيه عن هذا: "واحد.. اثنان.. ثلاثة.." كنت أحصي أزواج الأحذية أسفل باب الديوانية قبل دخولنا. نزع الأحذية ليس حكرا على مرتادي المساجد وحسب. التفت إلى مشعل"[47]. في هذه الفقرة حين رأى هوزيه أحذية خارج المكان فقارن هذه التجربة بتجربة سابقة إذ رأى هذه العادة قبل ذلك عند زيارة المسجد، فاستنتج في ذهنه "نزع الأحذية ليس حكرا على مرتادي المساجد وحسب".

وحين نقف عند الجملة السابقة والجملة اللاحقة، فتظهر لطافة هذا الحديث النفسي عند الأنا المعانية. ففي الجملة الأولى: "أحصى هوزيه أزواجَ الأحذية"، وفي الجملة الثانية: "التفت إلى مشعل مشيرا إلى الأحذية أسفل الباب: "ثلاثة في الداخل.. أنت الرابع.. خامسكم أين؟"[48]". والجملة التي بينهما، هي فكرة في وعيه وقد مرّتْ في ذهنه خلال تفقّده لصديقه الخامس.

وعندما وصلتْ إيميلات ميرلا إلى هوزيه وكان كلامها أقرب إلى الهلوسات والهذيان، بدأ يقلق على ميرلا، وهذا القلق واضح في حديث الوعي عند الذات المعانية القلقة، يقول: "يبدو أن ميرلا تمرّ بظروف صعبة. تلك الصلبة العنيدة اللامبالية باتت تظهر بصورة أخرى أكاد لا أعرفها. رسائلها الإلكترونية تشي باضطرابات نفسية تمر بها ابنة خالتي"[49]. هنا تظهر الأنا المعانية بأفكارها القلقة جليا، ثم تبدأ الأنا الساردة بسرد عن محادثات ميرلا ورسائلها الإلكترونية وحالاتها الغريبة.

ويحاور هوزيه–بكونه الأنا المعانية– نفسَه عندما يطلب منه ميندوزا أن يحضر له موزة ويصرّ على أن تكون الموزة صفراء فقط لإزعاجه لأن ميندوزا يعرف أن أشجار الموز حول بيوتهم لا تحمل أثمارا جاهزة للقطف بعد، فيحاور: "من الطبيعي أن تكون صفراء، لماذا يصّر جدّي على تحديد اللون؟! آه! هو يعلم أن أشجار الموز حول بيوتنا تحمل أعذاق موز صغيرة خضراء، ليست جاهزة للقطف بعد. أكرهك يا ميندوزا!"[50]. فتظهر الأنا المعانية حين يعتمل هوزيه أفكاره في نفسه عن فهم سرّ هذا الطلب بالتحديد، لأنه مستحيل في ذلك الحين. ولكي يتمنى له ميندوزا أن تنبت لك ألف عين كي يرى الأشياء بوضوح.[51]

– كما تظهر الأنا المعانية في المناجاة والصلوات، كما تسرد الأنا الساردة عن زيارته لمعبد "سينغ–غوان" مع تشانغ وبأنه وقف أمام تمثال بوذا حيث كانت امرأة تصلي بخشوع، ثم ينقطع السرد بمناجاة الأنا المعانية مباشرة بداية من: "ابن الرب.. لست أدري كيف أصلي لك" إلى نهاية الفقرة الطويلة: "إن كنت إلها.. نبيا أو قديسا.. أرشدني.. وكن لي معينا.. أبصر بواسطتك النور"[52]. [53]

والشواهد المذكورة من أحاديث الأنا المعانية النفسية تخلو من أي تدخل أو وساطة من عند السارد، لذا يمكن القول بأن أحاديث الأنا المعانية التي تقطع سرد الحكاية تندرج تحت الأسلوب الحرّ المباشر[54]، بمعنى أن الأنا الساردة لا تقدّم شيئا قبل أن تتحدث الأنا المعانية عما في نفسها.

ومع هذا الأسلوب، هناك نصوص بالأسلوب المباشر[55]، بمعنى أنّ الأنا الساردة تقدّم حديث الأنا المعانية النفسي بقوله: "قلت في نفسي"، "فكرت"، "كنت أتساءل"، "كنت أحادثني"، "كدتُ أقول". ففي هذه الحالة تصبح أحاديث الأنا المعانية النفسية مقولة قول الأنا الساردة. فرغم أن الأنا المعانية تتحدث في وعيها ولكن زمام السرد في يد الأنا الساردة وهي تسرد حديث الأنا المعانية في زمن الحكي، مثل ما ورد في النصوص.

وعند ذهاب هوزيه إلى بيت جدّته أعطاه غسّان مفتاح بيته قائلا بأن يمكن له المجيء في أي وقت شاء، فيقول هوزيه: "حتّى أنت غير واثق من بقائي في بيت جدّتي يا غسّان"، قلت في نفسي."[56] ومرة طمأنه إبراهيم سلام بأن الكويت جميلة والناس هنا طيبون، فيقول الأنا الساردة: "توقفت عند كلماته كثيرا. كدتُ أقول له: "لأنك لست كويتيا بوجه فلبيني!"، ولكنني آثرت الصمت"[57] فالأنا الساردة هي التي تقدّم حديث الأنا المعانية النفسية في زمن الحكي، كما تقّدم كلام الأنا المعانية موجها إلى الشخصيات الأخرى.[58]

وهذه النماذج تشير إلى أن الأحاديث النفسية عند الأنا المعانية إما ان تكون بالأسلوب المباشر تتوسط فيها الأنا السارد أفكار الأنا المعانية، وإما أن تكون بالأسلوب الحر المباشر بدون أي أفعال الوساطة.

وعندما يساوي السارد والشخصية في السرد بضمير المتكلم فمهما اختلفتْ الذات المعانية والذات الساردة، لا يتمّ انفصالهما تماما، وبالتالي يصعب التمييز بينهما في بعض الأحاديث النفسية مثل ما يعلق هوزيه خلال الحوار على شخصية جدّه الذي لم ينته بكرهه وعداوته لهوزيه حتى في ضعفه، يقول: "لئيم كان جدّي في ضعفه كما في قوته!"[59]. فيحتمل هذا القول إما أن يكون على لسان الأنا الساردة حين تسرد الحكاية في زمن الحكي. وإما أن يكون حديث الأنا المعانية النفسي في زمن الحكاية حين يعاني ميندوزا مشاكل نفسية، ويعاني هوزيه هلوسات ميندوزا وهذيانه.

وخلاصة القول في الدراسة بأن الأنا الساردة والأنا المعانية ميزة في السرد بضمير المتكلم وهما تظهران في النصوص السردية بأساليب متنوعة. فهناك الظواهر يشير إلى وجود أساليب الأنا الساردة وقرائنها المختلفة، وبها ينقطع سرد الحكاية الماضية في زمن سرد الحكي. فأحيانا تتدخل الأنا الساردة في الحكاية كونها ساردا أو كاتبا خياليا، وأحيانا تأتي بملفوظات تشير إلى الزمن الراهن مثل "الآن" وغيرها، وأحيانا تقطع زمن الحكاية بتعليقات وتمنيات وأوصاف لمواقف الحكاية. وبهذه القرائن تنجلي الذات الساردة في النصوص السردية بضمير المتكلم. كما ظهرتْ الأنا المعانية بأشكال مختلفة كالتعليق المباشر في زمن الحكاية، والتعليق في حديث النفس، والتساؤلات، والاستنتاجات على الحدث، والمناجاة.

الحواشي

[1] Monika Fludernik, An Introduction to Narratology. Translated from the German by Patricia Häusler-Greenfield and Monika Fludernik. First published 2009 by Rouledge USA. Pg 90.

[2] المرجع نفسه: pg 90.

[3] محمّد الخبو، بعض ملامح <الأنا>؛ الراوية والمروية في الخطاب الروائي المعاصر: إدوار الخراط نموذج. مجلة فصول، المجلد 16، العدد الرابع، ربيع 1998م. ص 212. والسيد إبراهيم، نظرية الرواية. دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة. دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة. الطبعة الأولى 1998م. ص 164.

[4] محمّد الخبو، بعض ملامح <الأنا>؛ الراوية والمروية. ص 223.

[5] المرجع نفسه: ص 212.

[6] السيد إبراهيم، نظرية الرواية. ص 164- 165.

[7] هو سعود سلمان السنعوسي، الصحفي والروائي الكويتي من مواليد 1981م.

[8] محمّد الخبو، بعض ملامح <الأنا>؛ الراوية والمروية. ص 213.

[9] المرجع نفسه: ص 222.

[10] السيد إبراهيم، نظرية الرواية. ص 164.

[11] Monika Fludernik, An Introduction to Narratology. pg 90.

[12] ساق البامبو: 339.

[13] المرجع نفسه: 339.

[14] المرجع نفسه: 359.

[15] المرجع نفسه: ص 360.

[16] المرجع نفسه: ص 359.

[17] نموذج آخر لظهور الأنا الساردة بكونها ساردا وكاتبا في رواية ساق البامبو: ص 197.

[18] مثاله في رواية ساق البامبو: ص 304.

[19] المرجع نفسه: ص367.

[20] المرجع نفسه: ص 83.

[21] المرجع نفسه: ص 84.

[22] نماذج أخرى لتلك القرائن في رواية ساق البامبو: ص 48، 190، 246.

[23] المرجع نفسه: ص 63.

[24] المرجع نفسه: ص 64- 65.

[25] المرجع نفسه: ص 83.

[26] المرجع نفسه: ص 83.

[27] نموذج آخر لتمني الأنا الساردة في رواية ساق البامبو: ص 45.

[28] المرجع نفسه: ص 46.

[29] المرجع نفسه: ص 46.

[30] مجلس التعاون الخليجي (Gulf Coopration Council) يشمل ستة بلاد خليجية: المملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، والقطر، والبحرين، عمّان.

[31] المرجع نفسه: ص 192.

[32] نموذج آخر لمثل هذا الوصف في رواية ساق البامبو: ص 212.

[33] المرجع نفسه: ص 82.

[34] المرجع نفسه: ص 139.

[35] المرجع نفسه: 190.

[36] نماذج أخرى لتعليق الأنا الساردة المتفاهم أو غير متفاهم على أحداث الحكاية في رواية ساق البامبو: ص 102، 116، 293.

[37] المرجع نفسه: ص 46- 47.

[38] المرجع نفسه: ص 106.

[39] المرجع نفسه: ص 121.

[40] نماذج أخرى لتعليقات الأنا الساردة في رواية ساق البامبو: ص 133، 215، 277، 342، 346، 354.

[41] المرجع نفسه: ص 88.

[42] المرجع نفسه: ص 198.

[43] المرجع نفسه: ص 135.

[44] كان ميندوزا يتمنى لهوزيه أن يستحيل ثمرة أناناس. للتفصيل أنظر الرواية: ص 120- 122، 132- 133.

[45] المرجع نفسه: ص 198.

[46] نماذج أخرى لتعليقات المتسائلة والمعجبة على لسان الأنا المعانية في رواية ساق البامبو: ص 136، 202، 203، 232، 367، 273، 290، 371.

[47] المرجع نفسه: ص 352.

[48] المرجع نفسه: ص 352- 353.

[49] المرجع نفسه: ص 280.

[50] المرجع نفسه: ص 119- 120.

[51] نماذج أخرى لأفكار الأنا المعانية في رواية ساق البامبو: ص 205، 290، 353، 355.

[52] المرجع نفسه: ص 181.

[53] نموذج آخر لمناجاة الأنا المعانية في رواية ساق البامبو: ص 270.

[54] هذا الأسلوب يتخلى السارد تماما عن القص ويترك الشخصيات كي تبوح بنفسها عما تريد قوله، دون تدخل منه بالتقديم أو الوساطة مثل الأسلوب المسرحي. عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي. دار النشر للجامعات، القاهرة. الطبعة الثانية 1417هـ- 1996م. ص 163.

[55] يقوم السارد في هذا الأسلوب بتقديم كلام الشخصيات فقط باستخدام أفعال القول مثل "قال فلان:" أو عبارات أخرى كثيرة، ثم يورد الحوار الذي ينتسبه إلى الشخصية.

[56] المرجع نفسه: ص 231.

[57] المرجع نفسه: ص 271.

[58] نماذج أخرى لتقديم أحادبث الأنا المعانية بأسلوب المباشر في رواية ساق البامبو: ص 101، 186، 243، 244، 247، 277، 301، 319، 322.

[59] المرجع نفسه: ص 133.